



مستفز رد فعل المجتمع الدولي، وكذلك الإعلام الغربي والعربي، تجاه انفجار المظاهرات الضخمة في حلب، وعندما نقول مستفزًّا بذلك لأن الجميع بات يردد أن حلب فاجأ الجميع، وهذا غير صحيح، فقد تكون حلب فاجأـت النظام الأسدـي لأنه منفصل عن الواقع، لكن ما كان يجب أن تفاجئـ الإعلام والمـجتمع الدولي.

فعندما تستمر ثورة لأكثر من أربعة عشر شهراً، مثل الثورة السورية، في بلد يحكمـه نظام قمعـي، وطائفيـيـ، فـذلك يعنيـ، وبـكل وـضـوحـ، أنـ تحتـ الرـمـادـ نـارـاـ حـقـيقـيـةـ، وأنـ لـلـثـورـةـ أـسـبـابـهاـ. وـعـنـدـمـاـ نـقـولـ إنـ رـدـودـ الفـعلـ تـجـاهـ مـظـاهـرـاتـ حـلـبـ مـسـتـفـرـةـ، فـلـأـنـ الـبعـضـ، بلـ كـثـرـ، اـسـتـمـرـؤـواـ التـعـبـيرـ عـنـ التـفـاجـئـ، وـطـوـالـ الثـورـةـ السـوـرـيـةـ، بلـ فـيـ جـلـ الأـحـدـاثـ الـجـسـامـ بـمـنـطـقـتـناـ، سـوـاءـ مـاـ هـوـ قـبـلـ عـقـدـيـنـ مـنـ الزـمـانـ، أـوـ مـاـ هـوـ خـلـالـ الـعـشـرـ سـنـوـاتـ الـمـقـبـلـةـ. وـمـعـ الـاحـتـرـامـ لـكـلـ مـنـ قـالـ، وـيـقـولـ، بـأـنـ أحـدـاـ لـمـ يـكـنـ لـيـتـبـأـ بـمـاـ حـدـثـ مـاـ يـسـمـيـ الـرـبـيعـ الـعـرـبـيـ، فـإـنـ مـجـرـيـاتـ الـأـمـورـ بـمـنـطـقـتـناـ، وـمـنـ اـحـتـلـالـ صـدـامـ حـسـينـ لـلـكـوـيـتـ، وـحتـىـ قـبـلـ عـامـ، بلـ إـلـىـ الـيـوـمـ، تـوـحـيـ بـأـنـ هـنـاكـ لـحـظـةـ انـفـاجـارـ حـقـيقـيـةـ مـقـبـلـةـ لـلـمـنـطـقـةـ، وـمـنـ يـعـودـ لـمـاـ كـتـبـ بـصـحـيـفـتـناـ وـغـيـرـهـ، سـيـجـدـ أـلـفـ تحـذـيرـ وـتـحـذـيرـ.

فالـسيـاسـيـ، بشـكـلـهـ الـطـبـيـقـيـ، لـيـسـ نـشـرـةـ أـحـوـالـ جـوـيـةـ، بلـ يـمـكـنـ تـوـقـعـ نـتـائـجـهـ، خـاطـئـةـ، أـوـ مـتـهـورـةـ، أـوـ صـائـبـةـ، فـلـوـ أـرـادـ أـيـ باـحـثـ جـادـ، مـثـلـاـ، درـاسـةـ أـوـضـاعـ مـنـطـقـتـناـ فـسـيـبـدـاـ مـنـ لـحـظـةـ اـحـتـلـالـ صـدـامـ لـلـكـوـيـتـ، وـرـبـماـ قـبـلـ، ليـجـدـ أـنـ «ـقـشـرـةـ»ـ الـأـرـضـيـةـ السـيـاسـيـةـ لـلـأـمـنـ الـعـرـبـيـ، وـالـعـلـاقـاتـ بـيـنـ الـعـرـبـ، قدـ اـخـتـلتـ، أـوـ تـصـدـعـتـ، وـبـالـتـالـيـ فـإـنـ سـيـلـاـ مـنـ الـزـلـازـلـ سـيـضـرـبـ الـمـنـطـقـةـ، وـالـقـصـةـ هـنـاكـ لـيـسـ قـصـةـ هـلـ تـكـوـنـ الـزـلـازـلـ بـثـورـاتـ، أـوـ انـقـلـابـاتـ، أـوـ انـهـيـارـاتـ، فـهـذـهـ مـمـاـحـكـةـ أـكـثـرـ مـنـ كـوـنـهـاـ تـفـاصـيلـ، وـهـنـاكـ مـثـلـ شـعـبـيـ جـمـيـلـ بـالـسـعـوـدـيـ يـقـولـ: «ـطـحـتـ أـوـ طـيـحـكـ الـجـمـلـ؛ قـالـ قـدـنـيـ وـصـلـتـ الـأـرـضـ»ـ، وـبـمـعـنـىـ آـخـرـ، فـمـنـ لـمـ يـمـتـ بـالـسـيفـ مـاـتـ بـغـيـرـهـ!

إـذـاـ تـأـمـلـنـاـ، مـثـلـاـ، الإـرـهـابـ الـذـيـ ضـرـبـ الـمـنـطـقـةـ، فـالـقـصـةـ تـعـوـدـ إـلـىـ الـخـطـأـ الـذـيـ اـرـتكـبـ بـعـدـ مـاـ سـمـيـ بـالـجـهـادـ فـيـ أـفـغـانـسـتـانـ ضدـ الـاتـحـادـ السـوـفـيـيـ، حـيـثـ لـمـ يـهـتـمـ أـحـدـ بـعـدـ تـلـكـ الـحـرـبـ بـالـمـقـاتـلـيـنـ الـأـجـانـبـ هـنـاكـ، أـوـ الـمـرـحـلـةـ الـاـنـتـقـالـيـةـ بـأـفـغـانـسـتـانـ. وـالـأـمـرـ نـفـسـهـ بـالـيـمـنـ، فـكـلـ الـمـؤـشـراتـ، وـمـنـذـ سـنـيـنـ طـوـيـلـةـ، تـقـوـلـ إـنـ الـيـمـنـ ذـاهـبـ لـأـزـمـةـ حـقـيقـيـةـ سـتـنـعـكـسـ عـلـىـ دـوـلـ الـجـوـارـ، وـخـذـ أـبـسـطـ مـثـالـ الـحـوـثـيـيـنـ.

وـبـمـصـرـ كـانـتـ أـزـمـةـ التـورـيثـ، وـالـفـسـادـ، مـعـ الـانـفـاجـارـ السـكـانـيـ، وـالـفـقـرـ، وـالـبـطـالـةـ، كـلـهاـ تـعـدـ بـمـثـابـةـ وـصـفـةـ الـمـوـتـ لـأـيـ نـظـامـ. وـالـأـمـرـ نـفـسـهـ مـعـ إـيـرـانـ، وـمـنـذـ الـثـورـةـ الـخـمـيـنـيـةـ، حـيـثـ عـانـتـ الـمـنـطـقـةـ مـنـ اـسـتـنـزـافـ وـاـخـتـرـاقـ، مـنـ قـبـلـ إـيـرـانـ، وـاـنـتـشـرـ بـمـنـطـقـتـناـ

داء الطائفية القاتل، وكان كثراً يستهرون بهذا الأمر، دولاً ونخبةً، واليوم ها نحن نواجه إيران باليمن والبحرين والعراق، وليس لبنان وحسب، وقد يذهل البعض عندما يجد على الـ«يوتيوب» شريطاً للراحل جمال عبد الناصر يحذر فيه من تحويل الجيش السوري إلى طائفي، حيث تمكين العلوبيين فيه على حساب باقي الطوائف بسوريا!

المراد قوله إنه آن الأوان لنكف عن المفاجأة، ونشرع في تفعيل العمل المؤسسي، رصداً، وتحليلاً، وتفاعلأً مع الأحداث، وأهمها عربياً اليوم هو التصدي للنظام الدموي بسوريا؛ لأنه يهدد أمن كل منطقةنا.

المصدر: الشرق الأوسط

المصادر: